خطاب جلالة الملك

بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبي العزيز :

نلتقي في مثل هذا اليوم من كل سنة لنتحادث معك في مشاكل متعددة، وبالأخص حول مشكل الشباب والنمو الانساني والبشري تربوياً ومعنوياً وثقافياً، وقد أبت محبتك لي وتعلقك بي منذ سنين وأعوام إلا أن تجعل من عيد ميلادي عيداً للشباب معناه عيد للأمل، عيد للعمل، عيد للزحف ضد الجهل، ضد التخلف، ضد اليأس، ضد التساؤل، وإنني حينما تقلدت ولاية العهد في يوم تاسع يوليوز 1957، أديت قسماً أمام والدي المرحوم لأن أكون خادمك، لأن أكون الساهر على مصالحك المعنوية والمادية كيفما كان الثمن ومهما كان الثمن.

ففي السنوات الماضية كنا شعبي العزيز جعلنا مذاكرتنا بمناسبة عيد الشباب حول أرقام، حول التخطيطات حول التصميم، وأعطيناك أرقام التزايد والتناسل، وأرقام التوسع الاقتصادي، وأرقاماً أخرى لكي تقيس الهوة الموجودة بين إنتاجنا واستهلاكنا.

حاولنا أن تكون مطلعاً أيها الشعب تمام الاطلاع على ما ينتظر كل واحد من الشباب من مسؤوليات وعمل.

ويظهر أن مثل هذا الكلام قلناه وكررناه مراراً وتكراراً، ولي اليقين في أن وعيك اليوم أكثر من ذي قبل في المعركة المادية الاقتصادية التي يجب أن تخوضها ونخوضها جميعاً.

واليوم نريد أن نتوجه بالمذاكرة إليك من وجهة خاصة، وهي وجهة التفكير والمناقشة والمذاكرة.

ما هي الأفكار التي يمكن أن تروج في ذهن شاب أو شابة وصلا إلى طور الوعي ولم ينفذا إلى طور المسؤولية اليومية ؟

هذا هو الطور الحقيقي الذي يمكن أن يكون فيه كل إنسان أمام تساؤلات وتشككات ابتداء من طور المراهقة إلى أن يبتدىء طور المسؤولية، اما في المعمل، وإما في الأسرة وإما في الوظيفة ؟

حقيقة يمكن أن نعد هذا السؤال عميقاً جداً، وأنه بحر لا ساحل له، وأن جميع التساؤلات التي يمكن أن توضع في أفكار الشباب ولكن، وكما قلت سالفاً بمناسبة عيد المولد النبوي، فإنه ليس عندنا مشاكل متعددة حتى نغوص في بحر لجي، بل أن مشاكلنا محدودة ومعروفة، ومسؤوليتنا جميعاً وخصوصاً نحن الذين نأخذ بمقاليد هذه البلاد أننا نعرفها ومسؤولياتنا هل توجب علينا أن نضعها ونحلها، مشكلتنا هي أولا : أن نحاول التخفيف أكثر ما يمكن من عدم التوازن الذي وقع غداة الاستقلال .

ففي هذه الفترة أصبح هناك التثقيف، وأبعدنا التربية، وهكذا قرأ الكثير، ولم نرب الكثير. هذه هي النقطة الأولى.

النقطة الثانية :

تثقفنا للثقافة لا للاستهلاك البشري .

النقطة الثالثة :

لم نحدد من أول يوم فلسفة وخطة التعليم حتى لا نترك آباء التلاميذ والمدرسين والتلاميذ أنفسهم في حيرة وفي تساؤل .

الحقيقة يجب أن نرجع إلى النقطة الأولى، أدخلنا التلاميذ إلى المدرسة، نسينا أن التعليم لابد له من قاعدة أساسية هي التربية، وتربيتنا ولله الحمد هي تربية سهلة، وهي ليست منقسمة ما بين تربية دينية ودنيوية، ليست منقسمة مثل الديانات الأخرى أن نذهب يوم الأحد أو يوماً في الأسبوع للتثقيف دينياً ومعنوياً لنعيش مع مواطنينا، وهناك حقيقة إذا وجدنا آباء صالحين وأمهات صالحات نكون إذ ذاك نور التربية السهلة، السمحة التي جعلها الله مثل دينه الحنيف، تربية سهلة لها خمسة أو ستة قواعد، ولكن بعد أن يتعلمها الانسان ويتبعها يمكنه إذ ذاك أن يستعمل بكل حرية جميع أفكاره، ويسخر جميع جوارحه ومواهبه بدون أن يخاف مواطن الزلق.

النقطة الثانية:

هي أننا تثقفنا للثقافة لا للاستهلاك، فلست متخوفاً من مشكل المستقبل، بمعنى أنني لست متخوفاً من مشكل تلاميذ المدارس الابتدائية، ولست متخوفاً من مشكل مستقبل تلاميذ المدرسة الثانوية، ولست متخوفاً من مستقبل طلبة الكليات، فهؤلاء وضعنا لهم برنامجاً، أما الذين يستأثرون باهتماماتنا وأعتبر أنه إجرام إذا لم نحل مشكلتهم، فهم ضحايا عشر سنوات، أولئك التلاميذ الذين حصلوا على شهادة الدروس الابتدائية، أو شهادة الدروس الثانوية، والذين يعدون بالآلاف ولم يجدوا أي عمل يعملونه، والحالة هذه أنني كما قلت سابقاً انه في بلاده وطموحها أن تستثمر مليون هكتار يمكنها أن تستهلك ليس فقط جيلا أو جيلين أو ثلاثة بل أجيالا وأجيالا.

فإذا نحن فكرنا حقيقة أن مشاكل التعليم هي مناطة بمشاكل التربية ومشاكل التربية هي التي تكيف المستقبل سهل علينا أن نتكلم بكلام واحد وبمفردات موحدة.

فقد كتب عدد من الناس عن مشاكل الشباب وتساؤلات الشباب وعلى أن كل شاب يبحث عن ضالته المنشودة، وكل شاب لا يبحث عن ضالة منشودة وليس له أمل وليست له مطامح فهو شباب بدون حيوية، ولكن هنا ينبغي لنا نحن أن نحدد له باتصال وباتفاق معه ما هي المطامح وما هي المشاكل التي ينبغي له أن يجد لها حلا ؟ وما هي الملاحم التي ينبغي أن يخوضها ؟ ففي هذا الباب كما يعرفني الناس جميعا لست من الذين يعز عليهم أن يفرضوا شيئا ما فرضا ولا من الذين يريدون أن يقولوا اننا سنفكر في هذا المشكل دون هذا المشكل.

إنني أعتبر أنه يمكن للعقل البشري أن يفكر في كل شيء، فواجب على كل مغربي ومغربية أن يفكروا في كل شيء، ويلزمنا من جهة أخرى أن نساعدكم نحن من ناحية التفكير، فبكل صراحة لقد وضعنا التصميم والتخطيط الخماسي حتى نغذي الناس، ولم نضع تخطيطاً من أجل تغذيتكم فكرياً، فالحياة الفكرية في المغرب منعدمة، فلا محاضرات ولا كتب ولا صحف ولا ندوات لا أندية ولا مجتمعات، فكلما اجتمع ثلاثة أو أربعة



أناس اجتمعوا إما ليقرأوا كتباً أجنبية أو فلسفات أجنبية وواقعاً أجنبياً لا ينطبق على واقعهم، ولكنهم يقرأون ما ينشر في الخارج الذي يصلح تطبيقه على الخارج حتى يصبح شبابنا قانعاً ومقتنعاً بأن «المرض» الذي قرأوا عنه في بلاد أجنبية هو مرضهم والحالة هذه أنهم يصبحون مرضى للوهم لا للحقيقة، فالواجب علينا أن نعد لهم تخطيطاً للاستهلاك الروحي كما أننا وضعنا لهم تخطيطاً للاستهلاك المادي والبدني.

هذا من واجب الدولة، الحقيقة يمكن أن نقول إن أهل الفكر لم يعينونا في هذه المدة، ولكن هناك شباب مثقف أعتمد عليه لكي يعيننا في هذا العمل، ولاسيما أننا قررنا ابتداء من اليوم أن نفتح دوراً للشباب والثقافة في كل مدينة وفي كل قرية يمكننا أن نفتح فيها هذه الديار، فدار الثقافة ودار الفكر هي التي يمكن أن تجمع حولها المفكرين والشباب المفكر من كل مدينة وكتباً ومجلات ومحاضرات وأشرطة وجميع ما من شأنه أنه يسلي، ويثقف الشباب دون أن يشعر.

أحمد الله على أنني ولدت منذ 39 سنة، ان مشكلتكم لم تجابهني لأنني كنت خائضاً في مجال التحرير والاستقلال، فكان الوقت الثالث بالنسبة لي دائماً مملوءاً، وكان جيلي الذي عايشته وتربيت معه في ذلك الوقت الثالث، وقت الفراغ كان مملوءاً، كان وقت الدار مملوءاً أما وقت الفراغ فكنا نفكر كيف نتمكن من إخراج المستعمر، كيف نوزع هذا المنشور، ماذا نكتب في هذه الجريدة ؟ فلان زج في السجن، متى ستنظم المظاهرة، وذلك مدة سنوات.

ولكن يصعب علي أن أجسم عليكم المخطط الخماسي، من الصعب علي كل يوم أن أجمعكم لتوزيع مناشير ضد الجوع، «من هو السيد ؟ الجوع» «الجهل من هو السيد الجهل».

حقيقة ان مشكلكم مشكل، وأنا أفهمه أكثر من كل واحد، فلهذا يجب أن نخلق لشبابنا مما يملؤون به الوقت الثالث والفراغ القائم بين المدرسة والبيت.

وأخيراً نريد أن نقول لكم هناك ضحايا للاستقلال، وحرام على البلاد التي تبر بأبنائها أنها لا تنظر إليهم بعين الرأفة والواجب والتضامن الجماعي، وهم عشرات الآلاف من الضحايا الذين ذهبوا ضحايا التثقيف للتثقيف دون أن ننظر إلى الاستهلاك وإلى المنافذ، فقد أصدرنا أمرنا إلى وزرائنا في التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والتقني، ليبدأوا من الآن مع وزارة الداخلية، في كل عمالة فيحصوا جميع هؤلاء الذين يحملون شهادات عربية فتخصص لهم دروساً تدريبية حتى يصبح لهم ازدواج يسمح لهم بأن يعملوا في جميع القطاعات، والذين لهم ثقافة مزدوجة سننظر في هواياتهم وميولهم ثم نخصص لهم دروساً تكميلية وتكوينية، وسيمكن إذ ذاك للآلاف من المتسكعين أن نجعل منهم إما صناعاً أو معينين لمهندسين فلاحيين أو معينين لمهندسي الأشغال العمومية، أو معينين في المدارس أو معينين في الشبيبة والرياضة، أو معينين في التعاون الوطني، فكيفما كان الحال فإنه يستحيل على الدولة التي أخذت على عاتقها أن تأخذ بيد ضحايا حرب التحرير أن لا تأخذ بيد ضحايا حرب التثقيف، فكل حرب لها ضحايا، فحتى الحرب التي نخوضها الآن وهي التنمية قد يكون لها ضحايا، وإذ ذاك سيكون على كاهل الدولة أن تأخذ بيد ضحايا هذه الحرب وأبنائها، هذا هو الوعد الذي أقطعه على نفسي أمامكم، والذي أصدرت من أجله أوامري منذ شهر، والذي أعلنه لكم اليوم على أن جميع هؤلاء الناس وهؤلاء الشباب الذين حقيقة يعتبرون لدينا مشكلا أننا سننكب إن شاء الله على مشكلهم حتى لا يبقى هناك أي مشكل، وأما الشباب الآخرون فلن يكون هناك مشكل بالنسبة لهم، فعندما يتخرج مئتا مهندس وأريد



أن آخذ مئة لادارة فإنه لا يبقى سوى مئة مهندس، فسوق المهندسين ولله الحمد مفتوح وسوق الأطباء موجود، وسوق المحامين ورجال القانون مفتوح.

إنني أنبهكم من الآن أنه ينبغي لنا أن نفكر في سوق الرجال الذين يعملون في ليسانس الآداب، لأنه خلال العشر سنوات القادمة نجد أنفسنا أمام أناس ليس لهم سوى الآداب، ومن المعلوم أن هناك أناساً يمكنهم أن يتثقفوا، ولكن الثقافة شيء خارج عن المهنة، ومن الآن ينبغي لنا أن لا نقبل من رجال الليسانس في الآداب سوى أولئك الذين سيكفوننا للدراسات العليا أو التخصيص، أما المحاماة أو الهندسة أو الجغرافية أو التاريخ أو الطب أو الكيمياء أو جميع أنواع التعليم الآخر فليس هناك مشكل بالنسبة إليه، فقد كونا لجنة خاصة بالتعليم الثانوي والتقني، وهذه الأسباب هي التي جعلتني أقسم الوزارة إلى ثلاثة أقسام، حيث اننا كونا لجنة تضم الوزارات المستهلكة : وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية، ووزارة الأشغال العمومية، ووزارة الصحة، ووزارة التجارة والصناعة والمعادن، ووزارة الفلاحة، فكل هذه الوزارات محتاجة إلى موظفين من الطبقة المتوسطة والطبقة العليا، فسيجتمع من الآن كل من وزارة التصميم مع الوزارات المختصة والمستهلكة، ووزارة التعليم التقني، حتى لا يخرج أي إنسان من أي طبقة إلا ويعلم في الحين أن لديه حرفة، وله مكان، فهذه هي المشاكل التي توضع : ماهو مصيري ؟ ماذا يمكن أن يكون مني ؟ فحقيقة أن المصير بيد الله، ولكن من واجبي كراعي أنني أعمل جهد المستطاع لكي أخفف على كل بيت من بيوتكم وطأة الشك والتساؤل، بالنسبة للمستقبل وبالنسبة للقوت والطعام، وبالنسبة للكساء، وبالنسبة لمشكل الأولاد، ولي اليقين أننا إذا تفهمنا مشاكلنا الحقيقية لن يبقى أمامنا إلا التساؤلات التي يتساءلها أي شاب أو تتساءلها اية شابة، وهذا من باب الخيال والشعر، وإذا لم يكن لديكم الوقت حتى تفكروا في مثل هذه المسائل وأنتم في سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة فإنه ليس من الممكن في الوقت الذي يصبح لديكم أطفال أن تصبحوا شعراء أو كتاباً أو تفكروا في الليالي المقمرة، فكيفما كان الحال فأنا شخصياً متفائل ومطمئن، وأملي في الله كبير على مستقبل شبابي، ولي اليقين بأن الله سبحانه وتعالى سيعيننا على أن نتربى حتى يمكننا أن نثق، فقد خططنا برنامجاً في هذا الباب سنعرضه على حكومتنا، وسنعلن عنه بمجرد افتتاح السنة الدراسية في أكتوبر القادم، وذلك حول تنظيم التعليم الابتدائي والثانوي والتقني والعالي، وحول تنظيم البرامج التربوية، وحول إنشاء دور للثقافة ودور للفكر ودور للشباب في كل مدينة، وذلك حتى لا يظل شبابنا فريسة لفكر أجنبي فريسة لمن يبحث عن زبناء ليجعلهم يفكرون في مشاكل أخرى وليفكروا في معركة جانبية بالنسبة للمعركة الحقيقية، والحالة هذه أن أولئك الأشخاص ضمنوا لأنفسهم كل شيء، ولا يبحثون سوى عن زبناء حتى يتمكنوا من الادعاء بأن لهم خمسين ألفاً أو ألفين فهذا حديثكم، وهذه من باب الحرية التي أتركها لكل واحد، ولكن على أي حال فلنا أحسن من هذا لشغل الوقت، ولنا أجل من هذا لتسخير مواهبنا، وأملي في الله أنني أوجه في كل سنة شاباً أكثر حماساً وأكثر تعلقاً ببلاده وبوطنيته وبوطنه وأملي في الله أنه في كل سنة يزيدني قوة على قوة لا لأن أتمتع بها لكن لأزيد في خدمتك أيها الشعب العزيز، وأزيد أصرف في كل سنة وسنة أكثر إمكانياتي في سبيل إسعادك وإسعاد الأجيال المقبلة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الاثنين 11 ربيع الثاني 1388 — 8 يوليوز 1968